خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

الحلقة (9)

الإيثار

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (٩)

الإيثار

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

انطلق حذيفة العدوي في معركة اليرموك يبحث عن ابن عم له، ومعه شـــربة ماء. وبعد أن وجده جريحًا قال له: أســـقيك؟ فأشار إليه بالموافقة. وقبل أن يسقيه سمعا رجلا يقول: آه، فأشـــار ابن عم حذيفة إليه؛ ليذهب بشـــربة الماء إلى الرجل الذي يتألم، فذهب إليه حذيفة، فوجده هشام بن العاص.

ولما أراد أن يسقيه سمعا رجلا آخر يقول: آه، فأشار هشام لينطلق إليه حذيفة بالماء، فذهب إليه حذيفة فوجده قد مات، فرجع بالماء إلى هشـــام فوجده قد مات، فرجع إلى ابن عمه فوجده قد مات. فقد فضَّل كلُّ واحد منهم أخاه على نفسه، وآثره بشربة ماء.

***

جاءت امرأة إلى الرســـول صلى اللَّه عليه وسلم، وأعطته بردة هدية، فلبسها صلى اللَّه عليه وسلم، وكان محتاجًا إليها، ورآه أحد أصحابه، فطلبها منه، وقال: يا رسول اللَّه، ما أحسن هذه.. اكْسُنِيها. فخلعها النبي صلى اللَّه عليه وسلم وأعطاها إياه. فقال الصحابة للرجل: ما أحسنتَ، لبســـها النبي صـــلى اللَّه عليه وســـلم محتاجًا إليها، ثم ســـألتَه وعلمتَ أنه لا يرد أحدًا. فقال الرجل: إني واللَّه ما ســـألتُه لألبسها، إنما سألتُه لتكون كفني. [البخاري]. واحتفظ الرجل بثوب الرسول صلى اللَّه عليه وسلم؛ فكان كفنه.

جاء رجل جائع إلى الرسول صلى اللَّه عليه وسلم وهو في المسجد، وطلب منه طعامًا، فأرسل صـــلى اللَّه عليه وسلم ليبحث عن طعام في بيته، فلم يجد إلا الماء، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (من يُضيِّف هذا الليلة رحمه اللَّه)، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول اللَّه.

وأخذ الضيفَ إلى بيته، ثم قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني، فلم يكن عندها إلا طعام قليل يكفي أولادها الصغار، فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتنومهم، وعندما يدخل الضـــيف تطفئ الســـراج(المصـــباح)، وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف، ووضـــع الأنصـــاري الطعام للضيف، وجلس معه في الظلام حتى يشعره أنه يأكل معه، وأكل الضيف حتى شبع، وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين.

وفي الصـــباح، ذهب الرجلُ وضـــيفه إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فقال للرجل: (قد عجب اللَّه من صنيعكما بضيفكما الليلة) [مسلم]. ونزل فيه قول

اللَّه -تعالى-: {ويؤثرون على أنفســـهم ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: ٩]. والخصاصة: شدة الحاجة.

***

اجتمع عند أبي الحســـن الأنطاكي أكثر من ثلاثين رجلا، ومعهم أرغفة قليلة لا تكفيهم، فقطعوا الأرغفة قطعًا صــغيرة وأطفئوا المصباح، وجلسوا للأكل، فلما رفعت السفرة، فإذا الأرغفة كما هي لم ينقص منها شيء؛ لأن كل واحد منهم آثر أخاه بالطعام وفضله على نفسه، فلم يأكلوا جميعًا.

***

ما هو الإيثار؟

الإيثار هو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس على حاجته، برغم احتياجه لما يبذله، فقد يجوع ليشــبع غيره، ويعطش ليروي سواه. قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [متفق عليه].

وتقول الســيدة عائشة –رضي اللَّه عنها–: ما شبع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا.

فضل الإيثار:

أثنى اللَّه على أهل الإيثار، وجعلهم من المفلحين، فقال تعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: ٩].

الأثرة:

الأثرة هي حب النفس، وتفضــيلها على الآخرين، فهي عكس الإيثار، وهي صــفة ذميمة نهى عنها النبي صــلى اللَّه عليه وســلم، فما أقبح أن يتصف الإنسان بالأنانية وحب النفس، وما أجمل أن يتصف بالإيثار وحب الآخرين.